

الوافي في الوفيات

فلو رأى الميكالي نمطه العالي وتنسم شذا غاليته العزيز العالي لقال عطلت هذه المحاسن
حالي الحالي وكنت من قبلها ما أظن اللاكيء إلا لي ولو ظفر الحظيري بتلك الدرر حلى بهما
تصنيفه وعلم أن أرباب الجناس لو أنفق أحدهم من الكلام ماء الأرض ذهباً ما بلغ مد مولانا
ولا تصنيفه ولو بلغ العماد الكاتب هذه النكت رفعها على عرشه وعوذها بآية الكرسي ودخل
دار صمته وأغلق باب الفتح القدسي فعين الله على هذه الكلم التي نفثت في العقد وأيقظت جد
هذا الفن الذي كان قد رقد فقد أصاب الناس بالسهام وأصبت أنت بالقرطاس وجاءوا في كلامهم
بالذواوي الذابل وجئت أنت بالغض اليانع الغراس وأبعدت في مرمى هذا الفن وقاربوا ولكن
ابن الناس من هذا الجناس وسبقت إلى الغاية ولو وقفت ما في وقوفك ساعة من باس وقد قيل
بديء الشعر بأمرير وختم بأمرير يريدون امرأ القيس وأبا فراس وكذا أقول بديء الجناس
بالبستي وختم بمولانا وكلاكما أبو الفتح فصح القياس وقد اثنت على تلك الروضة ولو وفقت
لائنت وما اثنت ووقفت عند قدرتي فما أجبت ولكن انقحت وما استحيت على أني لو وجدت
لساناً قائلاً لقلت فإني وجدت أول البيت وقد شغل وصف مثال مولانا عن شكوى حالي الشاقة
وأرجو أني أوحيتها شفاهاً إما في الدنيا وإما يوم الحاقة .
إن نعش نلتقي وإلا فما ... أشغل من مات عن جميع الأنام .
قلت لم نلق وحالت منيته بينه وبين الجواب وتوفي C تعالى يوم السبت حادي عشر شعبان سنة
أربع وثلاثين وسبع مائة وكانت جنازته حفلة إلى الغاية شيعها القضاة والأمراء والجنود
والفقهاء والعوام وتأسف الناس عليه ولما بلغتني وفاته قلت أرثيه : .
ما بعد فقدك لي أنس أرجيه ... ولا سرور من الدنيا أقضيه .
إن مت بعدك من وجد ومن حزن ... فحق فضلك عندي من يوفيه .
ومن يعلم فيك الورق أن جهلت ... نواحها أو تناسته فتمليه .
إما لطافة أنفاس النسيم فقد ... نسيته غير لطف كنت تبديه .
وأن ترشفت عذب الماء اذكرني ... زلاله خلقاً قد كنت تحويه .
يا راحلاً فوق أعناق الرجال وأج ... فإن الملائك تحت العرش تبكيه .
وذاهباً سار لا يلوي على أحد ... والذكر ينشره واللحد يطويه .
وماضياً غفر الله الكريم له ... باللطف حاضره منه وبأديه .
وبات بالحور والرضوان مشتغلاً ... إذ أقبلت تهادي في تلقيه .
حتى غدا في جنان الخلد مبتهجاً ... والقلب بالحزن يفنى في تلطيه .

لهفي على ذلك الشخص الكريم وقد ... دعاه نحو البلى في الترب داعيه .
وحيرتي فيه لا تقضي علي ولا ... تقضي لواعجها حتى أوافيه .
جری الأسي عبراتي كالعقيق وقد ... اصم سمعي وأصمى القلب ناعيه .
يا وحشة الدهر في عين الأنام فقد ... خلت وجوه الليالي من معانيه .
ووحشة الدهر أن تنثر ملاءته ... ولم تطرز حواشيها أمالية .
يا حافظاً ضاع نشر العلم منه إلي ... أن كاد يعرفه من لا يسميه .
صان الرواية بالإسناد فامتنعت ... ثغورها حين حاطتها عواليه .
واستضعفت بارقات الجو أنفسها ... في فهم مشكلة عن أن تجاربه .
حفظت سنة خير المرسلين فما ... أراك تمسي مضاعاً عند باريه .
□ سعيك من حبر تبحر في ... علم الحديث فما خابت مساعيه .
وهل يخيب معاذ □ سعى فتى ... في سنة المصطفى أفنى لياليه .
يكفيه ما خطه في الصحف من مدح النبي ... يكفيه هذا القدر يكفيه .
عز البخار يفيماً قد أصيب به ... مات الذي كان بين الناس يديره .
كأنه ما تحلى سمع حاضره ... بلفظه عند ما يروى لآليه